اختيارٌ أم قدر؟!

نجلاء البهلولي*

ســاد الهدوء جنبات المكتب... لا شيء هنا يستحق الاهتمــام... هكــذا كان الوضع لأكثرِ من ســاعة، تتخللهُ أصواتٌ متداخلة ورتيبة لأزرارٍ ســئمت من الضربات المتلاحقة على أم رؤوسها، بالرغم من أن تلك الأنامل الضاغطــة عليها متناهية في الأنوثة، ولكن... الضرب هو الضرب!.

أربع عيون... صُلبت على شاشتين تزاحمت فيهما الأرقــام والحروف مــع الأعمــدة والصفوف على نحوٍ يبعث إلى الاشــمئزاز والتقيــؤ... تقيؤ؟! هذا بالضَبط ما كانت تعبر به تلك الطابعة المتهالكة عن حالتها المأســاوية على الطرف الضيق من الطاولة المصابــة بالتهاب المفاصل والتــي بدورها تبدأ في إصــدار صوتٍ مكتوم هو أقرب إلى الأنين منه إلى الصريــر... خرجــتْ الورقة الأولــى... الثانية... فالثالثة... كلها متشــحة بالظلام، معلنة الحداد... ربمــا لبقيت اليــوم. بطريقة آلية قامــت بإخراج الأوراق من ملقم الطابعة، وبلا مبالاة هشــمتها ثم رمتها حتى زاوية المكتب كأنمــا تقول لها: فلتعلني الحداد لآخر سلة من عمرك.

هي لن تتكبد العناء لفتح الغطاء الجانبي للطابعة... لن تضحِّي بواحدٍ من أظافرها الجميلةِ المتناسقة... لا شيء في هذا المكان -على الإطلاق- يدفعها إلى خدش طلائها الذي بدا هو الآخر كئيباً. استدارتْ نصف دورة وأخرجت مــن حقيبتها مفتاحاً غريب الحجم.. ربما كان يُســتخدم لفتح أقفال الباستيل آنــذاك..! نظــرت إليه ببلادة وصــارت تقلبه بين كفيها كأنها لأول مرة تــراه، لكن ذلك لم يثنها عن دفعه إلى الشــق الجانبي للطابعة ثم الضغط عليه في الاتجاه المعاكــس، و...بضــع طقطقات كافية لتعلــن خلع الأضلاع من مفاصلهــا. رفعت الغطاء بأطراف أناملها ثم اشرأبت لتستطلع ما بالداخل... إنها تنــزف... بغزارة... يبدو أنها تلفظ أنفاســها الأخيرة. تناثرت البقع هنا وهناك، فأزاحت النقاب عن وجهها خوف الاتساخ، متناسيةً لونه الأسحم.

* قاصة من اليمن.

على بُعد أمتارٍ قليلــة كان هناك ما ينبض بالحياة ويزهر بألوانٍ طيفيةٍ رائعة معلناً وجوده في كبرياء برئــات متناغمة عذبة. ارتســمت على الشاشــة المتألقة بضعُ أحرفٍ متفرقة لتشــكل كلمات رقيقة تكفي لأن تُنبت روحاً في أشــد القلوب تصحُّراً... لم تكترثْ... أغلقت هاتفها ودسّته بوجه كظيم في حقيبتها... "الحب... أهو اختيارٌ... أم قدر؟؟!"

قنبلــة انفجرت في أوســاط المكتــب، كانت كفيلة بــأن تعيد كل ما فيه إلى طبيعته مرةً أخرى. مطت شفتيها ببطء يماثل البطء الذي تنظف به الطابعة من الحبر، أعقبه لــوي الرأس إلى الجانب الأيمن ثم الأيسر دلالة على مفاجأة السؤال وخطورته في الوقت نفســه... و لم تجبّ. عــاد الهدوء ثانية إلى المــكان، لكنه هذه المرة قاتل. لا شــيء يتحرك...! الأنامــل تجمدت على مفاتيــح الحروف... أوقفت الطابعة تقيؤهــا المعهود... تلاشــى أنين الطاولة المكتــوم... حتى الأنفاس خمدت... ســكونٌ مقفرٌ أسرى بقشعريرة إلى الأوصال...

ولكــن... ما لبث أن لاحت فــي الأفق إغماضاتٌ انسيابيةٌ دافئة، الواحدة تلو الأخرى، وأعقبها تردد أصداء ضحكات متعانقة ما بين سحْرٍ وعنفوان... وذكريات مخمليةٍ متدفقة أشــعلتْ ســماء المكتب أزهاراً وأطياراً وألواناً.

يا الله....! كم هي رائعة عندما تترعرع الحياة بين قلبين شــغوفين بها...! حالمين فيها. كم هي مذهلة عندما تســكب روحين ولهتين معــاً بلحظة واحدة تتخطى حــدود الزمان والمكان، فتجعل منهما كياناً واحداً لشكلين مختلفين منسجمين... وفي اللحظة ذاتهــا... تذوبان عطراً وألقــاً... حتى تصعدا إلى أعالي الســماء لتحتلا مكانهما هناك... بعيداً... بين النجــوم... ينبعث منهما وميضٌ أبديٌّ يشــتد ويزداد كلما أُغمضت العيون في اللحظة ذاتها!

إنهــا تراه... نعــم.. ذلك الوميض الأخــاذ... تراه أمامها... قريباً منها... وآســراً... بلا شعور مدت يدها إليه مبتســمة و... لحظــة!... ما هذا؟؟!... إنه يتحول إلى... شــرر!؟... رائحــة غريبة !.. يا إلهي...! جهاز الحاســوب... لاا!...! أسرعت إلى سلك الكهرباء الموصول بالقابس ونزعته مجيبة عن السؤال بغضب: "الحب!؟... مصيييبة!".